من مخطوطات
مكتبة آية الله المرعشي العامة
(١١)

مصارع المصارع

تأليف الفيلسوف الحكيم القدوسي
أبي جعفر نصير الدين
محمد بن محمد بن الحسن الطوسي
٥٩٧ - ٦٧٢ هـ

باهتمام
السيد محمود المرعشي

تحقيق
الشيخ حسن المعزي

كتاب : مصارع المصارع
تأليف : نصير الدين الطوسى
تحقيق : الشيخ حسن المعزى
نشر : مكتبة آية الله المرعشى ـ قم
طبع : مطبعة الخيام ـ قم
التاريخ : ١٤٠٥ هـ
العدد : (٢٠٠٠) عدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، بارىء الخلائق أجمعين ، والصلاة والسلام على سيدنا خاتم النبيين محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الان الى يوم الدين .

« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله »
« لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون »
«أحسنه أولئك الذين هديهم الله وأولئك هم أولوا الالباب»

(سورة الزمر : ١٨)

تقديم

كتاب « مصارع المصارع » حاك عن بعض آراء ثلاثة من أعلام فلاسفة الاسلام ومتكلميهم ، وهم :

١ ـ أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا .

وهو شيخ فلاسفة الاسلام ورئيسهم ، حكيم آلهي وفيلسوف مشائي ، صدر الاطباء ، وأستاد المناطقة .

ألف في العلوم العقلية كتباً ورسائل تستفيد منها المجامع العلمية من حين شيوعها الى هذا اليوم وصارت مصدراً وحيداً لهذه المسائل .

قد حاز بمنزلته العلمية التقدم على فلاسفة الاسلام منذ عشرة قرون ، وكل من تأخر عنه أخذ عنه واستفاد منه .

ليست شهرته تنحصر بالبلاد الاسلامية فحسب بل تعدت الى البلاد الغربية وقد نقلوا كتبه ورسائله عن اللغة العربية الى اللغات الاروبية منذ أكثر من خمسمائة عام. فتعلموا مبانيه الفلسفية وآراءه الطبية والرياضية، وبنوا أصول فلسفتهم على

ما استفادوه من أفكار هذا البطل الاسلامي العظيم .

٢ ـ أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني .

كان ذا خبرة واسعة في علم الكلام بحيث يعد من أشهر علماء هذا الفن .

وله من فن المناظرة والبحث حظ وافر ، وكان من أبرز علماء الاسلام في هذه الفنون .

وكتابه « الملل والنحل » أشهر مصنف حول الاراء والمذاهب ، وان كان له عند ترسيمه لبعض المدارس العقائدية خبط واشتباه ولكنه مع ذلك يعد من أجود ما صنف بهذا الصدد .

٣ ـ نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي .

كان من أعاظم فلاسفة الاسلام ومتكلميهم وأكابر حكماء الشرق، حتى قيل في شأنه : العقل الحادي عشر .

له في العلوم العقلية والاعتقادية والرياضية كتب ورسائل قيمة .

حرر رسائل جمة مما بقي من تراث فلاسفة يونان واحياء أفكارهم ونشر آرائهم في الحكمة ، والمنطق ، والرياضي ، والهندسة ، والهيئة .

***

هل الباعث للشهرستاني على تأليف كتابه «مصارعة الفلاسفة» دافع عقائدي أو مجرد اظهار للفضل والتجول في ميدان العلم ؟

نحيل القضاء اليك أيها القارىء ، فانك بعد أن تأملت وأمعنت النظر في تضاعيف كلمات الشهرستاني لم يبق لك بد الا أن تحمل تأليفه على الثاني وكأنه قد اغتر بما عنده من العلم بالكلام ، كما يقول : وليعلم اني قد بلغت من العلم

بأطوريه ... »[1] .

فحسب عند نفسه بأن الحكمة مشرعة يتيسر ورودها لكل واحد ، ومورد يسهل دخوله على كل وارد، فدخلها وحاول النزاع مع شيخها ورئيسها كما يقول في المقدمة : فأردت ان أصارعه مصارعة الابطال، وأنازله منازلة الرجال ...[2] .

فأخذ في تأليف هذا الكتاب للرد على آرائه في سبعة من المسائل الهامة التي هي العمدة في شريعة الاسلام. وهي : حصر أقسام الوجود، وجود واجب الوجود ، توحيد واجب الوجود ، علم واجب الوجود، حدوث العالم، حصر المبادىء، مسائل مشكلة وشكوك معضلة. واهداه الى السيد مجدالدين أبي القاسم علي بن جعفر الموسوي نقيب ترمذ .

وبعد أن وصل كتابه هذا الى الحكيم القدوسي نصير الدين الطوسي «ره» وأمعن النظر فيه كما يقول في المقدمة:فلما طالعته وجدته مشتملا على قول سخيف ونظر ضعيف ...[3] .

أخذ بتصنيف كتاب في الرد عليه كما هو دأب هذا الفيلسوف الشيعي العظيم فان التأمل في آثاره يعطي بأنه ركز فكرته في تخليص العلم والعقيدة عن شوب التمويه والتحريف .

وفي هذا الاطار ألف كتاب « مصارع المصارع » ، ولم يكن غرضه منه نصرة ابن سينا ومذاهبه الفلسفية كما يقول : غير ناصر لابن سينا في مذاهبه ...[4]

فبين الحق وأتى بالقول الفصل ، جزاه الله عن رواد العلم وطلبة الحق أحسن جزاء المحسنين انه خير موفق ومعين .

---

١) صفحة ٤ سطر ٦ .
٢) صفحة ٤ سطر ٢ .
٣) ص ٤ س ٢ .
٤) ص ٤ س ٦ .

أما بعد :

فهذا هو « مصارع المصارع » الاثر العظيم الذي كان في زوايا الخمول ونسجت عليه عناكب النسيان وكاد أن ينسى حتى عند دارسي الفلسفة القديمة ، ورأيت أن في اخراجه بطبع ميسر لعله خدمة الى متشوقي الفلسفة الاسلامية ، فبادرت بالعمل وظهر بالشكل الذي يراه قارئنا الكريم .

وكلنا أمل وطيد في أن يعلمونا القراء الاعزاء بما يظهر لهم من أخطاء في فهم النص أوزلة في تقويم العبارات، فاننا في بدء المسيرة الطويلة لتحقيق الكتب ونحتاج الى المزيد من العون والملاحظات.

وانه تعالى هو الهادي الى الصواب في المبدأ والمآب .

قم : أول رمضان المبارك ١٤٠٥ هـ

حسن المعزى الطهرانى

سيرة الشيخ الرئيس

أبو علي الحسين بن عبدالله بن حسن بن علي بن سينا .

ولد في اليوم الثالث من شهر صفر الخير سنة ٣٧٣ الهجرية .

مكانته في العلم أشهر من أن يحتاج الى تعريف، ومكارمه أبين من أن توصف.

ورعاية للادب نقتصر على ماذكره هو في ترجمة نفسه حسب مارواه تلميذه الشهير أبوعبيد الجوزجاني .

وهو :

كان والدي من أهل بلخ ، وانتقل منها الى بخارى في أيام الامير نوح بن منصور، واشتغل بالتصرف وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية من ضياع بخارى يقال لها « خرميشن » ، وهي من أمهات القرى بتلك الناحية، وبقربها قرية يقال لها « أفشنة » . فتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها ، وولدت أنا فيها ، ثم ولد أخي .

ثم انتقل الى بخارى ، وأحضر لي معلم القرآن ومعلم الادب ، وكملت

العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الادب حتى يقضى مني العجب .

وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين، ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم، وكذلك أخي. وكانوا ربما تذاكروا ذلك بينهم وأنـا أسمعهم ، وأدرك مـا يقولونه ، ولا تقبله نفسي، وابتدأوا يدعونني اليه . يجرون على ألسنتهم أيضاً ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند . ثم كان يوجهني الى رجل يبيع البقل قيم بحساب الهند فكنت أتعلم منه .

ثم وصل الى بخارى أبوعبدالله الناتلي وكان يدعي التفلسف ، فأنزله أبي دارنا واشتغل بتعليمي، وكنت قبل قدومه أشتغل بالفقه والتردد فيه الى اسماعيل الزاهد وكنت من أفره السائلين وقدالفت طرق المطالبة ووجوده الاعتراض[1] على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به .

ثم ابتدأت بقراءة كتاب ايساغوجي على الناتلي ، فلما ذكر لي حد الجنس: أنـه المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب « ما هو ؟ » . فأخذت في تحقيق هـذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وكان أي مسألـة قالها تصورتها خيراً منه، وحذر والدي من شغلي بغير العلم، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر .

ثم أخذت أقـرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق .

فأما كتاب أوقليدس فاني قرأت عليه من أوله خمسة أشكال أوستة، ثم توليت

---

١) كذا فى المتن ، ولعل الاصح : وجوه الاعتراض .

حل بنفسي بقية الكتاب [1] بأجمعه .

ثم انتقلت الى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت الى الاشكال الهندسية قال لي الناتلي : تول قراءتها وحلها بنفسك ثم أعرضها علي لابين لك صوابه من خطائه . وما كان الرجل يقوم بالكتاب فحالته ، فكم من مشكل ما عرفه الا حين عرضته عليه وفهمته اياه . ثم فارقني الناتلي متوجهاً الى كركانج.

واشتغلت أنا بتحصيل الكتب من الفصوص والشروع من الطبيعيات والالهيات وصار أبواب العلم تنفتح علي.

ثم رغبت في علم الطب وقرأت الكتب المصنفة فيه. وعلم الطب ليس هو من العلوم الصعبة ، فلذلك برزت فيه أقل مدة حتى بدأ فضلاء الاطباء يقرأون علي علم الطب . وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة مالا يوصف . وأنا مع ذلك مشغول بالفقه وأناظر فيه ، وأنا يومئذ من أبناء ست عشرة سنة .

ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفاً ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة ، ولم أنم في هذه المدة ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت بالنهار بغيره . وجمعت بين يدي ظهوراً ، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت (فيها) ما فيها من مقدمات قياسية وترتيبها وماعساها تنتج ، وأراعي شروط مقدماتها حتى تتحقق لي تلك المسألة .

والذي كنت أتحير فيه من المسائل ولا أظفر فيه بالحد الاوسط في القياس أتردد بسبب ذلك الى الجامع وأصلي وابتهل الى مبدع الكل حتى يفتح لي المنغلق منه ويسهل المتعسر ، وأرجع بالليل الى داري وأحضر السراج بين يدي واشتغل بالقراءة والكتابة . فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف عدلت

---

١) كذا في المتن والانسب : توليت بنفسي حل بقية الكتاب .

الى شرب قدح من الشراب [1] لكيما يعود الي قوتي ثم أرجع الى القراءة .

ومهما أخذني نوم كنت أرى تلك المسائل بأعيانها في منامي ، واتضح لي كثير من المسائل في النوم ، ولم أزل كذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني .

وكل ماعلمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الان لم أزل ازدد الى اليوم فيه شيئاً. حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي. وانتهيت الى العلم الالهي وقرأت كتاب مابعد الطبيعة فلم أفهم مافيه والتبس علي غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به . وأيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . فحضرت يوماً وقت العصر في الوراقين فتقدم دلال بيده مجلد ينادي عليه، فعرضه علي فرددته رد متبرم معتقد أن لافائدة في هذا العلم . فقال لى : اشتره فصاحبه محتاج الى ثمنه وهو رخيص وأبيعكه بثلاثة دراهم فاشتريته فاذا هو كتاب أبي نصر الفارابي في أغراض كتاب « مابعد الطبيعة » ورجعت الى داري وأسرعت في قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب لانه كان قد صار لي محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في اليوم الثاني بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى.

واتفق لسلطان الوقت ببخارى وهو نوح بن منصور مرض تحير الاطباء فيه ، وقد كان اشتهر اسمي بينهم بالتوفر على العلم والقراءة، فأجروا ذكري بين يديه وسألوه احضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته

---

١) ولا يذهب عليك فان المراد من الشراب هنا المايعات المقوية كما فى القرآن الكريم «شراباً طهوراً» لاماحرمه الاسلام فان شأنه أجل من ارتكاب هذه المعاصي، والشاهد عليه قوله لكيما تعود الى قوتي فان الخمر تورث الضعف فى الانسان ولا تكون موجباً لتزييد القوى .

وسألته يوماً الاذن في الدخول الى داركتبهم ومطالعتها وقراءة مافيها .

فأذن لي وأدخلت الى دارذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض، ففي بيت منها كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت علم مفرد . فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجت اليه ورأيت من الكتب مالم يقع اسمه الى كثير من الناس ولم اكن رأيته قبل ذلك ولا رأيته أيضاً من بعد .

فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه .

فلما بلغت ثماني عشر سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها ، وكنت اذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضج والافالعلم واحد لم يتجددلي شيء من بعد .

وكان في جواري رجل يقاله ابو الحسن العروضي ، فسألني أن أصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته باسمه وأتيت فيه على سائر العلوم سوى العلم الرياضي ، ولي اذ ذاك احدى و عشرون سنة .

وكان في جواري أيضاً رجل يقال له أبو بكر البرقي خوارزمي المولد فقيه النفس متوجه في الفقه والتفسير والزهد مائل الى هذه العلوم ، فسألني شرح الكتب ، فصنفت له كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الاخلاق كتاباً سميته كتاب البر الاثم[1]، وهذان الكتابان لايوجدان الاعنده فانه لم يعر احداً ينسخ منهما .

ثم مات والدي وتصرفت بي الاحوال وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ودعتني الضرورة الى الاخلال ببخارى والانتقال الى كركانج، وكان ابو الحسن السهيلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً، وقدمت الى الامير بها وهو علي بن مأمون

---

١) كذا في المتن والاصح : البر والاثم .كما في بعض النسخ .

وكنت اذ ذاك على زي الفقهاء بطيلسان تحت الحنك ، فرتبوا لي مشاهـرة تقوم بكفاية مثلي.

ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى نسا، ومنها الى باورد، ومنها الى طوس ، ومنها الى سمنقان ، ومنها الى جاجرم رأس حدخراسان ، ومنها الى جرجان. وكان قصدي الامير قابوس ، فاتفق في أثناء ذلك أخذ قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك .

ثـم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضـاً صعباً وعدت الى جرجان ، واتصل ابو عبيد الجوزجاني بى وأنشدني في حالي قصيدة فيها البيت للقائل :

لما عظمت فليس مصر واسعى لما غلا ثمنى عدمت المشتري

قال الشيخ ابوعبيد : فهذا ما حكاه لي الشيخ من لفظه .

مؤلفاته : حسب مانقل تلميذه أبوعبيدالجوزجانى كثيرة نذكرهنا نموذجاً من أهم ما ألفه رحمه‌الله تعالى:

١ ـ القانون في الطب

٢ ـ الشفاء في الحكمة والمنطق والرياضي والهندسة والحساب والهيئة

٣ ـ الحكمة المشرقية في المنطق والحكمة

٤ ـ الاشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة

٥ ـ البر والاثم في الاخلاق

٦ ـ النجاة في الحكمة

٧ ـ المباحثات في الحكمة

٨ ـ التعليقات في الحكمة

٩ ـ لسان العرب في اللغة

١٠ ـ المبدء والمعاد

وفاته :

توفي الشيخ الرئيس في بلدة همذان سنة ٤٢٨ هجريـة ودفن بها . وكان مدة حياته الشريفة ثمان وخمسون سنة، رضوان الله تعالى عليه ورفع في درجاته.

حياة الشهرستانى المتكلم

أبوالفتح محمد بن أبى القاسم عبدالكريم بن أبي‌بكر أحمد الشهرستاني الشافعي الاشعري.

كان يلقب بـ « الافضل » و« حجة الحق » و« تاج الدين » .

ولد في سنة ٤٦٧ أو٤٦٩ أو٤٧٩ الهجرية في بلدة « شهرستان » من بلاد خراسان .

لم يوجد في الكتب ذكر عن أيام أبيه وأجداده .

قضى أيام الطفولة وبدء الشباب في‌بلدة الجرجاجية «كركانج » في‌تحصيل العلوم الاولية كالكتابة والقراءة واللغة والتجويد والادب والمنطق .

ولمـا بلـغ حد الشباب خرج عن مسقطه رأسه وانتقل الى نيسابور ، وكان نيسابور في‌هذا العهد من أهم مراكز العلم في‌البلاد الاسلامية .

أساتذته :

توجه في نيسابور الى الفقه الاشعرى ، وقرأ الفقه عند :

١ ـ أبى المظفر احمد الخوافي المتوفى سنة ٥٠٠ بطوس .

٢ ـ أبي نصر عبدالرحيم بن أبي القاسم بن عبدالكريم القشيري الاشعري المتوفى سنة ٥١٤ .

٣ ـ قرأ الاصول عند أبي القاسم سلمان بن ناصر بن عمران الانصاري النيسابوري ، وهو أحد أعلام الفقه والتفسير والاصول والكلام وكان من تلامذة أبي المعالي الجويني وتوفي سنة ٥١٢ .

٤ ـ وأخذ الحديث عن أبي الحسن علي بن احمد بن احزم المدائني ، وهو أحد رجال الحديث في نيسابور المتوفى سنة ٤٩٤ .

وبعد ما استكمل مراتب العلم في الفقه والتفسير والكلام والحديث توجه الى خوارزم المركز العظيم للبحث والمناظرة والوعظ، واستوطنه وبقي فيه الى سنة ٥١٠ ، ثم ارتحل في هذه السنة من خوارزم الى الحجاز قاصداً حج بيت الله الحرام.

ثم توجه الى بغداد ، وتعهد الخطابة والوعظ في النظامية باستدعاء صاحبه « أسعد المهيني » رئيس الجامعة . وجذب قلوب المستمعين لطلاقته في الكلام وتبحره في المناظرة والبحث والخطابة .

ثم مسافر الى خراسان حدود سنة ٥١٤، ووقع هناك معارفة بينه وبين بعض رجال الدولة السلجوقية كـ « علي بن جعفر الموسوي ، نقيب ترمذ » الملقب بـ « رئيس خراسان » و« صدر المشرق». ونصير الدين محمود الملقب به «عين خراسان»، وتعهد وزارة السلطان سنجر السلجوقي من سنة ٥٢١ الى سنة ٥٢٦.

تأليفاته : الموجود منها :

١ ـ نهاية الاقدام في علم الكلام .

٢ ـ مصارعة الفلاسفة .

٣ ـ مفاتيح الاسرار ومصابيح الانوار في تفسير القرآن .

٤ ـ علم واجب الوجود ، كتبه لمحمد الايلاقي.

٥ ـ مسألة اثبات الجوهر الفرد .

٦ ـ الملل والنحل.

٧ ـ المكتوب من مجلس عقده في خوارزم .

مكانته العلمية :

كان لـه حظ من علوم متعددة لكنه كان متبرزاً فى علم الكلام والخطابـة والوعظ ، ومؤلفه الخالد «الملل والنحل» هو الشاهد على تبحره في هذا العلم.

وأما قدرته في الخطابة والوعظ فنظهر من تفويض هذا المنصب اليـه في النظامية ببغداد بأمر « أسعد المهيني » رئيس الجامعة .

ألف الشهرستانى رسائل وكتباً في العلوم العقلية لكنه لم يبلغ حد الحكمة والتبرز في الفلسفة .

وعند التحقيق في كلماته ومبانيه يظهر صدق هذا المدعى وان كنت فى ريب « أيها القارىء الكريم » فراجع كتاب تتمة صوان الحكمة لظهير الدين البيهقى[1] ومصارع المصارع لنصير الدين الطوسي، وكتاب الأسفار لصدر الدين الشيرازي[2].

وماذكره الجلالى النائيني في كتابه الذى ألفه في شرح أحوال الشهرستاني فى ص ٦٢ بهذه العبارة : « ظاهراً شهرستانى نخستين حكيمى است كه گفتار بوعلى را درمنطق .. »

بحيث تراه عد الشهرستاني من الحكماء في عداد الشيخ والفارابى ونصير الدين الطوسي رضوان الله عليهم .

فمحمول على عدم وقوف المؤلف على المعنى المصطلح للحكيم عند أهل الفن.

---

١) ص ١٣٧ الى ١٤٠ .

٢) الاسفار ج ١/٤١٥ ، ج ٦/٣٩ .

وفاته : توفي سنة ٥٤٨ الهجرية في بلدة « شهرستان » ودفن بها .

هذه نبذة من حياة هذا المتكلم والخطيب الشهير ، ومن أراد التوسع فى ترجمته بـأزيد مما اوردناه هنـا فليراجع الى المطولات المعمولة في هـذا الموضوع .

حياة الفيلسوف الطوسى

نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي رضوان الله تعالى عليه ولد حين الطلوع من يوم السبت الحادي عشر من جمادى الاولى سنة ٥٩٧ في بلدة طوس .

كان أبوه محمد بن الحسن من فقهاء الشيعة ومحدثيهم. وبعد أن بلغ سنى التمييز تعلم القرآن والاحاديث وفنون الادب عند معلمي بلده، وخلال تلك الايام قرأ الفقه عند ابيه ، وأخذ الحكمة عن خاله .

وفي بدء الشباب ارتحل من مولده طوس الى نيسابور لتحصيل العلم، ولبث فيها مدة وحضر مجلس كثير من العلماء واستفاد منهم .

نشير الى أسماء بعضهم :

فريد الدين الداماد .

قطب الدين المصري .

كمال الدين الموصلي .

معين الدين سالم بن بدران المصري .